يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على اعمالهم يوم القيمة وموافقتهم عليها ويكون الفايدة في الاخبار بسرعته الاخبار بقرب الساعة كما قال تعالى سريع الحساب وليس لاحد ان يقول فهذا هو الجواب الاول الذي ذكرتموه وذلك ان بينهما فرقا لان الاول مبني على ان الحساب في الاية هو الجزاء والمكافاة على الاعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة المعروفة والمقابلة بالاعمال وترجيحها وذلك غير الجزا الذي يقتضي الحساب اليه وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضا على ابي علي الجبائي في اعتماده اياه بان قال يخرج الكلام في الاية على وجه الوعيد وليس في خفة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضي زجرا ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب ان يكون المراد الاخبار عن قرب امر الاخرة والمجازاة على الاعمال وهذا الجواب ليس ابو علي هو المبتدي به بل قد حكي عن الحسن البصري واعتمده ايضا قطرب بن المستنير النحوي وذكره المفضل بن سلمة وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن بمبطل له لانه اعتمد ان يخرج الاية مخرج الوعيد وليس كذلك لانه تعم قال فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة الى قوله سريع الحساب فالاشبه في الاية ان يكون الكلام وعدا بالثواب فراجعا الى الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار او يكون راجعا الى الجميع فيكون المعنى ان للجميع نصيبا مما كسبوا فلا يكون وعيدا خالصا بل اما يكون وعدا خالصا او وعدا و وعيدا على انه لو كان وعيدا خالصا على ما ذكره الطاعن لكان لقوله تعم والله سريع الحساب على تاويل من اراد قصر الزمان وسرعة المواقعة وجه وتعلق بالوعد والوعيد لان الكلام على كل حال متضمن لوقوع المحاسبة على اعمال العباد والاحاطة بخيرها وشرها وان وصف الحساب مع ذلك بالسرعة وفي هذا ترغيب وترهيب لا محالة لان من علم انه يحاسب باعماله ويواقف عليها وعلى جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح ورغب في فعل الواجب فهذا ينصر الجواب وان كنا لا ندفع ان في حمل الحساب على قرب المجازاة او قرب المحاسبة على الاعمال ترغيبا في الطاعات وزجرا عن المقبحات فالتاويل الاول اشبه بالظاهر ونسق الاية الا ان التاويل الاخر غير مدفوع ولا مردود

تاويل اية اخرى ان سال سايل عن قوله تعالى والله يرزق من يشا بغير حساب فقال اي تمدح في الاعطا بغير حساب وقد يكون المعطي بحساب اجزل عطية من المعطي بغير حساب الجواب قلنا في هذه الاية وجوه اولها ان يكون الفايدة انه تعم يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب هاهنا راجع الى المرزوق لا اليه تعم كما يقول هذا القايل ما كان كذا وكذا في حسابي اي لم اومله ولم اقدر ان يكون وهذا وصف للرزق باحسن الاوصاف لان الرزق اذا لم يكن محتسبا كان انه هناك واحلى وقد روي عن ابن عباس في

والله يرزق من يشاء بغير حساب

تفسير

تفسير هذه الاية انه قال عني بها اموال بني قريظه والنضير وانها تصير اليكم بلا حساب ولا قتال وعلى اسهل الامور واقربها وايسرها وثانيها انه تعم يرزق من يشا رزقا غير مضيق ولا مقتر بل يزيد في الكثرة والسعة على كل عطاء المخلوقين فيكون نفي الحساب عنه نفيا للتضييق ومبالغة في وصفه بالسعة والعرب تسمي العطاء القليل محسوبا قال قيس بن الخطيم

اني سريت وكنت غير سروب — وتقرب الاحلام غير قريب
ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه — في النوم غير مصرد محسوب

وثالثها ان يكون المعنى انه يرزق من يشاء من غير حساب اي من غير طلب المكافاة او لا لغير لفايدة تعود اليه او منفعة ترجع عليه لان من شان اهل الدنيا ان يعطوا ليكافوا او لينتفعوا ولهذا يقال فيمن يقصد بالعطية الى هذه الامور فلان يحاسب الناس فيما يعطيهم ويناقشهم فيما يوصله اليهم وما اشبه ذلك فلما انتفت هذه الامور من عطاياه سبحانه جاز ان يقول انه يرزق من يشا بغير حساب ورابعها ما اجاب به قطرب قال المعنى الاية يعطي العدد الكثير لا مما يضبطه الحساب او ياتي عليه العدد لان مقدوره تعم لا يتناهى وما في خزاينه لا ينحصر ولا يصح عليه النفاد وليس كالمعطي منا الالف من الالفين والعشرة من المائة لان مقدار ما يتسع له ويتمكن منه محدود متناه ولا تناهي ولا انقطاع لما يقدر سبحانه وتعالى عليه وخامسها انه تعم يعطي عباده في الجنة من النعيم واللذات اكثر مما استحقوه وازيد مما وجب لهم بمحاسبته تعم اياهم على طاعتهم كما قال تعم من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وكما قال تعم ان تقرضوا الله قرضا حسنا وكما قال تعم ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وسادسها ان يكون المعطي منا غيره شيئا والرازق سواه رزقا قد يكون له ذلك فيكون فعله حسنا لا يسئل عنه ولا يواخذ به ولا يحاسب عليه وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحا يواخذ به او يحاسب عليه فنفى الله تعم عن نفسه ان يفعل من الرزق القبيح وما ليس له ان يفعله بنفي الحساب عنه وانبا انه لا يرزق ولا يعطي الا على افضل الوجوه واحسنها وابعدها من الذم وجرى الاية مجرى قوله تعم لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وانما اراد انه تعالى من حيث وقعت افعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يجز ان يسال عنها وان يسال العباد عن افعالهم لانهم يفعلون الحسن والقبيح معا وسابعها ان الله تعم اذا رزق العباد واعطاهم من فضله كان الحساب على العبد ساقطا من جهة الناس فليس لاحد ان يقول له لم رزقت ولا يقول لربه لم رزقته ولا يسئل ربه عن الرزق وتملكه وانما يساله عن انفاقه في الوجوه التي ينفقه فيها فسقط الحساب من هذه الاوجه عما يرزقه الله تعم فلذلك قال تعم بغير حساب وثامنها ان يكون المراد بمن يشا ان يرزقه اهل الجنة لانه يرزقهم رزقا لا يصح ان يتناوله الحساب ولا العدد ولا الاحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ويطابق هذه الاية قوله تعالى في موضع آخر فاولئك

فيضاعفه له اضعافا كثيرة صح
٢ يضاعفه لكم ويغفر لكم صح

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)